



# فهرسة الأفكار وتأريخ الفكرة

وآثر ذلك على تنمية التفكير لدى الفرد والمجتمع

إن الإنسان كينونة مفكرة متأملة في فطرتها الأولى، على اختلاف بين البشر في قوة هذه الفطرة واستجابتها، ولا ينمو الفكر بشكل طبيعي قادر على استلهام المقدره البشرية التي استودعها الله في عقل الإنسان وكينونته إلا عبر سلسلة شروط، من أهمها، توفر فضاء التعبير عن الأفكار ومناقشتها وتطويرها وبحث قيمتها وحتى الاختلاف حولها.



محمد جمعة عبدالهادي موسى  
باحث دكتوراه، كلية الآداب، جامعة القاهرة



كما خص الله الإنسان بالعقل، والعقل معمل ضخمة للتفكير، وكما أثنى الله تبارك وتعالى على المتدبرين والمتفكرين بخلقه وما في كونه من عظمة وإبداع، فإذا كان التدافع بين البشر سنة كونية، قال تعالى: ﴿وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾<sup>1</sup>؛ فهو كذلك في عالم الأفكار؛ بل تبدو أهميته في عالم الأفكار أكثر خطورة، بل وحتى التدافع بين البشر هو ثمرة للتدافع بين الأفكار في غالب الحالات. لذا فتش في حالات التعثر على صعيد الإنجاز أو التطور الاجتماعي أو السياسي أو النمو الاقتصادي، وسترى أن مصاعد التغيير الإيجابي تبدأ من الأفكار.

و"فهرست الأفكار وتاريخ الفكرة": وأثر ذلك على تنمية التفكير لدى الفرد والمجتمع، موضوع نتناوله في ضوء أهميته بدراسة قيمته عند المفكرين، ثمار فهرست الأفكار على تنمية التفكير، دور الأسرة في فهرسة الأفكار وتنمية التفكير لدى الفرد، وفهرست الأفكار وأثره على المجتمع.

### فهرست الأفكار وأهميته

بناء على هذا الأساس فيما تقدم من أهمية تأريخ الفكرة تقدم ذلك البحث، ليتناول قيمة الفكر<sup>2</sup> وأهمية حفظنا للأفكار ودورنا في التأريخ لها في طيات فهرست<sup>3</sup> تجمع فيه؛ إذ كل منا لديه أفكار عديدة؛ الممتاز منها ما يُطبق والآخر قد يصبح مهملاً، أو قد يصبح في أدراج الذكريات، ولكن الإنسان ينسى إذا لم تُسجل هذه الأفكار،

وقيمة تسجيلها تتمثل في كونها جزءاً من مسيرة حياته بكل ما فيها، والتي قد تختلف ظروفها من حين لآخر.

ومن ثم فإن الرجوع إلى الاطلاع على أفكارك القديمة يحتاج الأمر إلى مدونة لها ولو على الأقل أن تضع "فهرست" لأفكارك؛ من القديم إلى الحديث يساعدك على التفكير وإعادة النظر مرة أخرى في أمورك، والتي قد تكشف لها حلول هنا أو هناك، خاصة أننا لا نكف عن الزهو بماضي<sup>4</sup>. ولعل هذه هي الأبجدية الأولى نحو التفكير العلمي لإنماء التفكير نحو حياتك؛ فالتفكير العلمي هو أرقى أنواع التفكير؛ لأنه محكوم بالتجربة، فهو يبنى أساساً على ما يسمى بفعل الفكر<sup>5</sup>، والذي يبدأ سياقه من الشعور بمشكلة ثم افتراض أحد الفروض أو أكثر لحل هذه المشكلة، ثم تعمل التجربة على أساس الفرض، وتدوين المشاهدات التي تؤدي عملية تحليلها إلى نتيجة عامة، وهي نتيجة قد تدعم الفرض أو تعدله أو تدحضه، ومن هنا تتجلى قيمة إنشاء فهرست الأفكار وتدوين الفكرة معاً<sup>6</sup>.

كما أن فهرست الأفكار لا يقتصر على الفرد فحسب، وإنما يمكن أن يمتد إلى مراكز التفكير الاستراتيجية<sup>7</sup>. إن فهرست الأفكار لدى الفرد ولدى المؤسسة، ستتجلى قيمته وكأنه حكمة مؤثرة، وفائدة طيبة قيمة في حقل ما دونت فيه، وهو ما يبرهن على قيمة تخطيط ذلك الفهرست؛ فالحكمة ضالة المؤمن، وهو أحق بها أين وجدها، وها هو العالم المعري الجديد بكل ما يحمله<sup>8</sup>.

كما أن لفهرست الأفكار صلة بنشأ فقه الواقع ليوأكب المتغيرات؛ إذ هو سجل للحقائق ومخزن للوثائق الحياتية وتجاربها المدونة؛ فلا بأس على من رأى غير ما كان يرى حين تتوافر لديه حقائق أو وثائق تدعوه لمراجعة مواقفه في ضوء ما هو مسجل بها، وهو ما اختلته يده، ومن هنا تبرز قيمة ما يحتويه فهرست الأفكار وقيمة التأريخ للفكرة<sup>9</sup>.

### فهرست الأفكار وقيمه عند المفكرين

إن قيمة فهرست الأفكار ستبدو لنا ظاهرة ومنتزحة إذا علمنا أن أي خبرة نكتسبها، وأي تجربة نتعامل بها ونتفاعل معها تتبلور بالفكرة التي ارتسمت في أذهاننا عنها، فهي تبدأ من دواخل ذاتنا، وهي ثمرة تفكيرنا. وتُستمد قيمة الفهرست من كون التفكير فريضة على الإنسان العاقل، إذا فكر وأصاب بتفكيره اكتسب حسنتين، حسنة التفكير، وحسنة الصواب، وإذا فكر ولم يصب اكتسب حسنة التفكير. كما أن المفكرين هم طلائع الأمم، والأمم لا تتقدم ولا تترقى إلا بفضل مفكرها، والمفكرون هم الذين يفكرون في مصالح أممهم ومصالح أوطانهم<sup>10</sup>، كما أن تفكيرنا الفردي هو في النهاية تحقيق لوجودنا<sup>11</sup>.

### ثمار فهرست الأفكار على تنمية التفكير

وحسبك أن تظن أن الثمار الحقيقية للتعلم هي المعلومات المتراكمة نتيجة دراسة فروع المعرفة فحسب، وإنما الثمار تجنيها أيضاً من العمليات الفكرية الناتجة عن دراسة هذه المعارف؛ ولهذا لا بد أن نعزز تنمية

عالية مبنية على الأسس العلمية للتفكير، وبذلك نكون قد أحدثنا نقلة نوعية متميزة في التعليم .. وسيتم القضاء على السطحية في التفكير بسبب الحفظ المجرد عن الفهم والتفكير والتدبر، كما سيتم التحرر والبعد عن الجمود والركود في استخدام المعلومات والاستفادة منها، وقد أحسن من قال: (لا يمكن للمرء أن يحصل على المعرفة والعلم إلا بعد أن يتعلم كيف يفكر)<sup>15</sup>.

إذ إن قدرتنا على التفكير وفهمنا لما نقوم به ونعمله عن وعي وإيمان، هو بالنسبة لنا الأمر الأكثر أهمية لكل ما نقوم به من أعمال عقلية كانت أم عملية<sup>16</sup>.

### دور الأسرة في فهرسة الأفكار وتنمية التفكير لدى الفرد

وإذا كان البعض ليست لديه القدرة على القيام بفهرسة أفكاره وتأريخها، فلأسرة دور كبير في مساعدته على القيام بذلك كإحدى مهارات تعليم التفكير.

وإذا ما تحدثنا عن القيمة التاريخية لفهرست الأفكار في ضوء المحيط الأسري، سيجلينا لنا قيمة دور الأسرة في تعليم التفكير لأفرادها، وكون ذلك من الأساليب الفاعلة في قدرة الأطفال على التكيف الاجتماعي عن طريق حفزهم على التفكير، وتشجيعهم عليه.

كما تبرز قيمته حول ما يدور من المشكلات اليومية التي تنشأ كل يوم نتيجة الاحتكاك بالآخرين والتعامل معهم، وقد يصير نتيجة لذلك مفكراً، ولكن مع الأخذ في الحسبان أن المفكر لا تكمن أهميته في كونه يقول الحقيقة، أو ينجح في تفسير وشرح والبرهنة على الحقائق المعترف بها أو المسلم بها على أنها كذلك، بل قد يجانب الصواب في بعض الأحيان، وقد يخطئ في كثير من آرائه، بل تكمن أهميته في تقويماته وتقديراته<sup>17</sup> التي تبرز نتيجة فهرسة أفكاره وتراكمها في سجله دائماً.

ومن ثم فإن مساعدته في تدوين أفكاره بعمل فهرست لها؛ سيعني تفكيره في حل مشكلاته بطرح البدائل دون فرض الحلول، وسيمكنه على المدى البعيد من مواجهة مواقف مماثلة مع الآخرين خارج النطاق الأسري الذي تهيمن عليه الوصاية، والتي يكون خلالها غير قادر على أن يساهم بجد في حل المشكلات الأساسية التي تعرفها ثقافة ما في مرحلة تاريخية من تطورها، مثلما هو الأمر في الثقافة العربية المعاصرة<sup>18</sup>.

### فهرست الأفكار وأثره على المجتمع

ولما كان الإنسان اجتماعياً بطبعه، وهو لا يمكنه أن يعيش بمفرده، بل إنه يؤثر ويتأثر<sup>19</sup>؛ فإن فهرست الأفكار سيكون له دور فعال على تقويم آلاف الأفراد على التعامل مع مشكلاته بالأسلوب المتبع في حل المشكلة، كما أنه أكثر قدرة على التعاون والمشاركة وتبادل الأدوار واتخاذ الأصدقاء والدفاع عن حقوقه والمطالبة بها والعمل على تحقيقها في ضوء الاطلاع على فكره وأفكاره كأدوات له<sup>20</sup>.

وإذا كان فهرست الأفكار إحدى مهارات التفكير



عن الآخر، وهو الذي يولد ماهيتنا باعتبار أن الإنسان يعيش بتفكيره الفردي في بوقته ثقافية كلية تلزمه التبادل مع الآخر ولاعتبار ثان مهم، وهو أن الإنسان مدني بالطبع بتعبير ابن خلدون، وذلك أن تفكيره الفردي يدخل عن شخصيته، ولكنه لا يخرج عن إلزام ثقافي اجتماعي وكي، ومن هنا تتبين قيمة فهرست الأفكار وقيمتها بين الأفراد<sup>14</sup>.

كما أن قيمة فهرست الأفكار ستتجلى مباشرة في تنمية التفكير؛ فالتفكير وإن كان بالأصل موهبة ربانية من الله - عز وجل - إلا أن الإنسان يستطيع أن ينمي تلك الموهبة، ويسهم في تطويرها وتنشيطها، كي يستفيد من نعمة العقل بالتفكير السليم في ضوء تاريخ أفكاره المفهرسة، فالتفكير عبارة عن مجموعة من المهارات من الممكن للفرد أن يكتسبها ويتقنها عن طريق التعلم والتدريب ومن طرق ذلك الفهرسة لأفكاره.

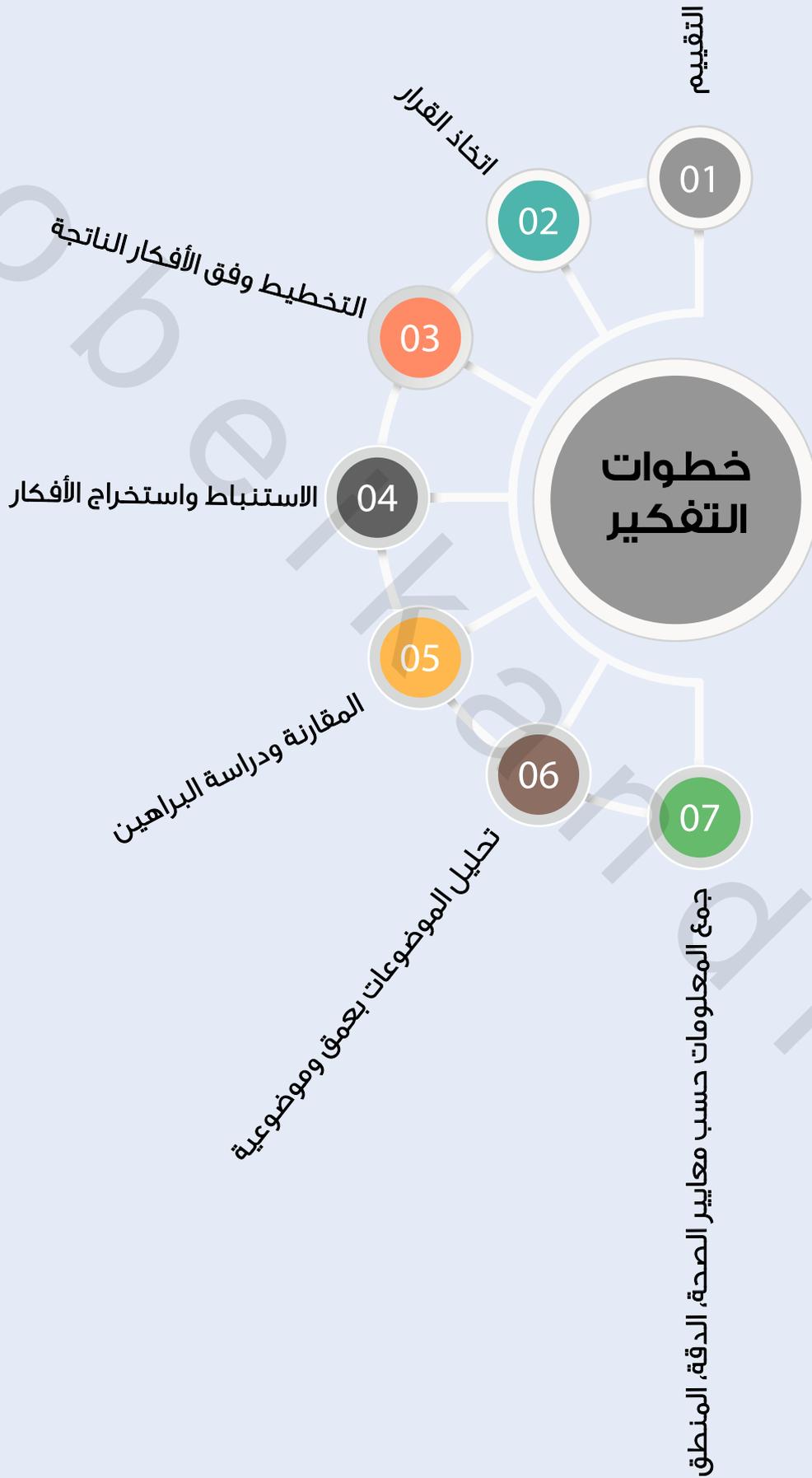
كما أنها إحدى مهارات التفكير التي لا بد من غرسها وتعليمها لأبنائنا منذ الصغر من خلال مراحل تعليمهم العام، إما بدمجها في جميع المواد الدراسية بأسلوب جذاب ومتقن، وبألية علمية تمكن المعلم من تفعيل مهارات التفكير لدى الطالب للوصول للمعلومة والاستفادة منها. وهذا يتطلب إعداد المعلم لذلك أو بتعليم مهارات التفكير كمادة مستقلة بمنهج متكامل يلزم الطالب طيلة مراحل تعليمه؛ فيتمكن من القدرة على التفكير بمهارة

التفكير من خلال إثارة اهتمام المعلمين بقضية التفكير وتوعيدهم ممارسته من خلال المناهج التعليمية، وتدوين أفكارهم التي يستخلصونها من جراء هذه المعرفة، وعدم ترك أي فكرة يخرج بها من جراء ما اطلع عليه من معارف بالقراءة والاستماع والكتابة مع إثارة التفكير والتأمل إلا ودونها؛ حتى إذا تعلمت أفضل، فكرت أفضل، ومن ثم ازددت ذكاء<sup>12</sup>.

إن فهرست الأفكار المدونة في ذاكرتك أو تلك التي كتبها يدك في دفاترك فهي معين لك على التفكير الجاد، الذي لا ينحصر في علاج المشكلات واتخاذ القرارات فقط، بل يقود إلى النجاح في الحياة وتحقيق ما يطمح إليه الإنسان، فشحن العقل بالتفكير النشط المرتب لهو دافع قوي لاستنفار جميع الطاقات الكامنة للنهوض والتقدم، ومن ثم السعي نحو بلوغ الأهداف.

على أن فهرست الأفكار لن يتكون إلا إذا صار هنالك منهجاً في تعليم التفكير في هذا العصر، وأن يكون هنالك اهتمام كبير بالتفكير وباستخدام الطاقات الذهنية في تحليل ونقد الأحداث والربط بينها وتوظيفها التوظيف الصحيح في ضوء فهرست الأفكار النابع من خزانة التفكير لدينا<sup>13</sup> من فهرست أفكاره.

في الوقت ذاته لا بد أن نعلم أن فهرست الأفكار يمكننا الاطلاع عليه بأنفسنا ومن الممكن أن نطلع عليه الآخرين، وإذا خلصنا إلى أن كل تفكير فردي هو الذي يعلن تميزنا



المختلفة، فلما لا تتخذ مقياساً ومختبراً في معرفة الأفراد الذين يُبدون قدرة ملحوظة في السلوك الاجتماعي في المدرسة وبين أولئك الذين يفترقون إلى مثل هذه القدرة في ضوء ما يدونه من أفكار بفهرسته<sup>21</sup>.

فإذا ما تعلموا تدوين أفكارهم في فهرست خاص بهم كمهارة من مهارات التفكير يمكن أن يرتفع مستواهم في ذلك إلى مستوى من هم أكثر كفاية وقدرة منهم ممن هم في مثل سنهم؟ وإن كان تعلم كيفية عمل فهرست الأفكار كأحدى مهارات التفكير في حل المشكلة، فإنه سيُفيدنا فعلاً ويرشدنا إلى الأسلوب الأمثل في حلها ..

إنه الحل في فهرست الأفكار؛ إذ إننا لا نترك أفكارنا تسير حرة طليقة وإنما نرتبها بطريقة محددة وننظمها عن وعي<sup>22</sup>.

الهوامش: تتضمن (المصادر والمراجع):

- (1) سورة البقرة، الآية رقم: 251.
- (2) فكر: التَّفَكُّر: التأمل، والاسم التَّفَكُّر والفَكْرَةُ، والمصدر الفَكْرُ بالفتح، الجوهري (ت 393هـ): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، (1407هـ/1987م)، ج2 ص 783.
- (3) فهرست مُعْرَبٌ، من فهِرَسَ التَّكْأَبُ الَّذِي تُجْمَعُ فِيهِ الْكُتُبُ؛ وَكَيْسَ بَعْرِيٌّ مَعْضٌ، ولكنه مُعْرَبٌ فِهْرَسْت. ابن منظور (ت711هـ): لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، ج 6 ص 167، الفيروزآبادي (ت817هـ): القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، (1426هـ/2005م)، ج 1 ص 564.
- (4) عبدالرحمن أبو عوف: التفكير العلمي، مجلة أدب ونقد، مصر، القاهرة، العدد: 5، تاريخ النشر: 1 يوليو 1984م، ص 130.
- (5) أميل توفيق: ماهية التفكير العلمي، مجلة الأديب، لبنان، العدد: 9، تاريخ النشر: 1 سبتمبر 1973م، ص 22.
- (6) أميل توفيق: ماهية التفكير العلمي، ص 22.
- (7) د.علي بن شويل القرني: غياب مراكز التفكير وتأثيراتها المجتمعية، جريدة الجزيرة السعودية، السبت 18 ذو الحجة 1433 هـ/ 3 نوفمبر 2012م، العدد: 14646.
- (8) عبدالمجيد المطيري: التفكير الإبداعي، جريدة الجزيرة السعودية، السبت 02 شعبان 1435هـ/ 31 مايو 2014م، العدد: 15220.
- (9) توفيق فريزة: ما لا يقبل التفكير فيه، مجلة الإتحاف، تونس، العدد: 136، تاريخ النشر: 1 فبراير، 2003م، ص 30-31.
- (10) عبدالله زكريا الأنصاري: التفكير والمفكرون، مجلة البيان، الكويت، العدد: 82، تاريخ النشر: 1 يناير 1973م، ص 4.
- (11) شكري روسي: التفكير والحرية، مجلة الإتحاف، تونس، العدد: 242، تاريخ النشر: 1 ديسمبر، 2014م، ص 6.
- (12) مها راشد الخالدي: التفكير وتطور النمو العقلي، جريدة الجزيرة السعودية، الإثنين 07 جمادى الآخرة 1435هـ/ 7 أبريل 2014م، العدد: 15166.
- (13) ج.الاس: فن التفكير، ترجمة: عبدالكريم ناصيف، مجلة الآداب الأجنبية، سوريا، العدد: 27، تاريخ النشر: 1 يوليو 1981م، ص 88، (عن كتاب "الإبداع"، الناشر: ب.ي.فرون، بنجوين).
- (14) شكري روسي: التفكير والحرية، مجلة الإتحاف، تونس، العدد: 242، تاريخ النشر: 1 ديسمبر، 2014م، ص 13.
- (15) محمود بن عبدالله القويحي: أهمية التفكير، جريدة الجزيرة السعودية، (الثلاثاء 02 محرم 1435هـ/ 5 نوفمبر 2013م)، العدد: 15013.
- (16) محمد عبدالرحمن عدس: دور الأسرة في تعليم التفكير، جريدة الجزيرة السعودية، الإثنين 30 شوال 1422هـ/ 14 يناير 2002م، العدد: 10700.
- (17) محمد المهدي المهري: التفكير الرمزي، مجلة الإتحاف، تونس، العدد: 55، تاريخ النشر: 1995م، ص 17.
- (18) محمد وفيد: حول مفهوم الواقع في التفكير العلمي المعاصر، مجلة أفلام، المغرب، العدد: 56، تاريخ النشر: 1 أبريل 1982م، ص 27.
- (19) أميل توفيق: ماهية التفكير العلمي، مجلة الأديب، لبنان، العدد: 9، تاريخ النشر: 1 سبتمبر 1973م، ص 22-23.
- (20) محمود البش: التفكير الفلسفي في الممارسة والقيم: مسألة العمل، مجلة الإتحاف، تونس، العدد: 50، تاريخ النشر: 1 يونيو، 1994م، ص 6.
- (21) أميل توفيق: العقل البدائي وتطور التفكير، مجلة الأديب، لبنان، العدد: 4، تاريخ النشر: 1 أبريل 1956م، ص 4.
- (22) عبدالرحمن أبو عوف: التفكير العلمي، مجلة أدب ونقد، مصر، القاهرة، العدد: 5، تاريخ النشر: 1 يوليو 1984م، ص 133.